مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 12، العدد2، (السداسي الأول 2020)
ص. 71-98

أثر الحديث النبويّ الشّريف في اللّغة العربيّة وتطوّرها.

The effect of the noble hadith on the Arabic language and its development.

د. فاطمة الزهراء عواطي*
جامعة الشّارقة، كلّيّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة، الإمارات، faouati@sharjah.ac.ae

تاريخ الاستلام: 2018/09/24 تاريخ القبول: 2019/03/26

ملخص:

أثّرت الشريعة الإسلامية بمصدريها الأساسيين: القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف في شتّى ميادين الحياة ومجالاتها العلميّة، والفكريّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة وغيرها... ولأن القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين، ومحمد ﷺ أوتي الفصاحة والبلاغة وجوامع الكلم حتّى بات أفصح العرب لسانا وأوضحهم بيانا؛ فإنّ أوّل ما تأثّر بهذه الفصاحة والبلاغة والبيان هي اللّغة العربيّة ذاتها حيث زادها القرآن الكريم والحديث الشريف غنى، وثراء، ورقيّا. ويتناول هذا البحث أثر الحديث النبوي الشريف في اللغة العربية على مستوى الألفاظ والمعاني والتراكيب والأسلوب واللّهجات... حيث نجد أن الحديث النبوي الشريف ارتجل ألفاظا جديدة في العربية لم يكن العرب استخدموها من قبل. كما أنّه اشتقّ لكثير من الألفاظ المستعملة معاني جديدة لم تكن العرب تعرفها، وأبدع تراكيب تبارى اللّغويّون في شرحها وكشف سحر بيانها، بالإضافة إلى أن الحديث النبويّ الشّريف حفظ لنا لهجات قبائل عربيّة مختلفة أهمل اللّغويّون تدوينها ولولا استخدام النبيّ ﷺ وكلامه بها ونقلها من قبل المحدّثين أثناء روايتهم وتدوينهم الحديث الشريف ما كنّا عرفناها.

فلا شك أن تأثير الحديث النبوي الشريف على اللغة العربية تأثيرا كبيرا ومتنوّعا بتنوّع مجالات اللّغة. فقد أسهم بشكل كبير في بناء المعجم اللّغويّ وإثرائه بألفاظ، ومعاني، وتراكيب، ولهجات، وما كُتُب غريب الحديث إلاّ دليل على ذلك. كما أن اختلاف علماء اللّغة في الاحتجاج بالحديث النبوي في الجانب الوظيفي للّغة أثرى البحث اللّغوي بالنقاش والطرح العلمي للآراء المختلفة وهذا كله في صالح دفع عجلة البحث العلمي اللّغوي وتطوّره.

* المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: أثر؛ الحديث النبوي؛ اللغة العربية؛ تطوّر.

Abstract:

Islamic law is built off two main sources: the Noble Qur'an and the noble prophetic hadith which in turn influences the various fields of life : scientific, intellectual, social, political, and other fields... and because the Holy Qur'an was revealed with a clear Arab tongue , the first thing that was affected by its eloquence and rhetoric is the Arabic language itself, as the Holy Qur'an and the noble Hadith increased its richness and sophistication. This research deals with the impact of the noble prophetic hadith on the Arabic language on the level of words, meanings, structures, style and dialects ... where we find that the noble prophetic had improvised new words in Arabic that the Arabs did not use before. Also, he derived many of the used word's new meanings that the Arabs did not know, and the creations of the linguists contended in explaining them and revealing the magic of their statement, in addition to that the noble prophetic hadith preserved for us the dialects of different Arab tribes that the linguists neglected to write down. And had it not been for the use of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, and his words about it and its transmission by the modernists during their narration and codification of the noble hadith we would not have known it.

There is no doubt that the influence of the Prophet's hadith on the Arabic language is significant and varied with the diversity of the areas of the language. It contributed greatly to building the linguistic dictionary and enriching it with words, meanings, structures, dialects, and Gharib Al-ha Also, the difference of linguists in invoking prophetic hadith on the functional side of the language enriched the linguistic research with discussion and scientific presentation of different opinions and all this is in the benefit of advancing linguistic scientific research and its development.

Keywords: impact; Hadith; Language; Arabic; evolution.

مقدمة:

يعدّ الحديث النّبويّ الشّريف مصدرًا ثريًّا، ومجالاً حيويًّا منعشًا للّغة العربيّة في أبعادها المختلفة، فقد جاء بلسان سيّدنا محمّد ﷺ وهو أفصح العرب قاطبة، وأقومهم عبارة، وأقدرهم على صناعة البيان. بعثه الله عزَّ وجلَّ في أمّة تعتزّ بلغتها، وتعجب بسحر بيانها، لكنّها عجبت لفصاحته، وعجزت أمام بلاغته ﷺ؛ خاصّة أنّه ﷺ انفرد بألفاظ وتراكيب لم يسبقه إليها أحد ولم تُسمع من غيره من قبل –كما سيأتي بيانه خلال البحث-، كما كانت عنده القدرة على مخاطبة القبائل العربيّة على اختلاف لهجاتها؛ مستخدمًا مع كلّ قبيلة حرفها ولهجتها، فأتاح لنا بذلك أن نتعرّف إلى لهجات عربيّة ما كنّا لنعرفها لولا حديثه بها ﷺ. وقد نقلت لنا مصنّفات غريب الحديث كل ذلك، واعتنت بشرحه وبيانه، إمّا بما شرحه الرّسول ﷺ نفسه، أو شرحه أصحابه رضي الله عنهم، ثم تناقله عنهم اللّغويّون فيما بعد وفصّلوا في بيانه.

ومن ثمّ اعتبرت أحاديثه مصدرًا هامًّا، اشتغل عليه العلماء والمختصّون من اللّغويّين عبر العصور، ممّا أسهم في إثراء اللّغة العربيّة، ودفع عجلة تطورها ونمائها ونشاط حركة البحث العلمي فيها، وكشف قدرتها على التّجذّر، والانتشار، والانسجام، والتّفاعل، بسبب ما تمتلكه من ثروة أسهم الحديث النّبويّ الشريف في التّمكين لها من خلال الجديد الذي أضافه على مستوى المعاني، والألفاظ، والتّراكيب، والأساليب، والرّؤية.

بيد أن مواقف علماء اللّغة والنحو قد اختلفت تجاه مدى إمكانية الاستشهاد بحديث رسول الله ﷺ في القضايا اللّغوية؛ بين مجوّز لذلك، ومتشدّد فيه بحجة أن الحديث النبوي تجوز روايته بالمعنى وبالتالي فاللّفظ فيه ليس دائما لرسول الله ﷺ فلا تقوم به الحجة. مع اتفاق الفريقين وإجماعهما بأنه ﷺ أفصح العرب، وأقومهم لسانا، وأوضحهم بيانا، وأشرفهم مقاما.

فالاختلاف بينهما هو في توظيف النص النبوي في بعض مجالات البحث اللّغوي. وكلا الموقفين أدّى إلى إثراء اللّغة العربية ودفع حركة البحث والتطوير فيها.

فإلى أيّ مدى أسهم الحديث النّبويّ الشّريف في التأثير في اللّغة العربيّة؟ وفيم تتجلّى مظاهر هذا التأثير؟ وما هي تداعياته على اللّغة العربيّة عمومًا؟

هذا ما سأحاول مناقشته في هذا البحث من خلال النقاط التّالية:

- **المقدّمة:**

_ **أوّلا:** فصاحة النّبيّ ﷺ.

_ **ثانيا:** مجالات تأثير الحديث النّبويّ في اللّغة العربيّة.

_ **ثالثا:** أثر الحديث النّبويّ في اللغة العربية على المستوى المعجميّ.

_ **رابعا:** مواقف استخدام الحديث النّبويّ في اللّغة العربيّة على المستوى الوظيفيّ.

- **الخاتمة.**

أوّلا: فصاحة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

يعدّ الحديث النّبويّ الشّريف وحي الله تعالى إلى نبيّه ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾[1]. وهو مصدر التّشريع الثّاني بعد القرآن الكريم. استعان به المفسّرون في تفسير الآيات القرآنية، واعتمد عليه الفقهاء والأصوليّون في استنباط الأحكام الشّرعيّة، ولفصاحته وسحر بيانه؛ فقد استند إليه اللّغويّون في احتجاجاتهم وتقعيداتهم اللّغوية؛ حيث بلغت الفصاحة النّبويّة الذّروة بعد القرآن الكريم.

ورغم أنّه ﷺ بُعث في قوم عرفوا بالفصاحة والبيان؛ فقد فاقت فصاحته فصاحتهم، وغلب بيانه بيانهم؛ لما يحمله من قوّة وحذقة، ارتبطت برؤية جديدة للكون والإنسان والحياة، عمل في ظلّها ﷺ على توسيع مدارك أصحابه، وتفتيق أذهانهم، وتغيير رؤيتهم للحياة والكون، وإعادة تشكيل منظومتهم القيميّة، باستخدام سحر البيان، معتمدًا على قوّة تأثير الكلمة؛ وهو الذي قال ﷺ: **«أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ**[2]»، "وهي الألفاظ اليسيرة لجمع المعاني الكثيرة[3]". وكان المحيطون به ﷺ وهم فصحاء؛ لا يكتمون إعجابهم بفصاحته ويصارحونه بذلك، فكان جوابه لهم: **«وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنَ بِلِسَانِي لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**[4]**»**.

---

[1] النّجم: 3-4.

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، 295/1. تهذيب اللغة، الأزهري، 257/1. الفائق في غريب الحديث والأثر، الزّمخشري، 1/ 11.والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده28/13 رقم 7585 و492/13 رقم 8150، ومعمر بن راشد في الجامع 11 /99 رقم 20033، وإسماعيل بن جعفر في أحاديثه 236/1 رقم 141 و320/1 رقم 249، وسعيد بن منصور في سننه 360/2 رقم 2862، وابن أبي شيبة في مصنفه 303/6 رقم31644.

[3] غريب الحديث، ابن الجوزي، 191/1.

[4] روى ابن أبي الدنيا في كتابه المطر والرعد والبرق، 56/1، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: "كَانُوا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي يَوْمِ دَجْنٍ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ بَوَاسِقَهَا؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ تَرَاكُمَهَا، قَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ قَوَاعِدَهَا؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ تَمَكُّنَهَا، قَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ رَحَاهَا اسْتَدَارَتْ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ اسْتِدَارَتَهَا، قَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ جَوْنَهَا؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَهُ وَأَشَدَّ سَوَادَهُ، قَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ بَرْقَهَا، أَخَفْوًا، أَمْ وَمِيضًا، أَمْ يَشُقُّ شَقًّا؟» قَالُوا: بَلْ يَشُقُّ شَقًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَا»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَفْصَحَكَ، مَا رَأَيْتُ الَّذِيَ هُوَ أَعْرَبَ مِنْكَ فَقَالَ: «حُقَّ لِي، وَإِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِي بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ». وذكره القاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى80/1 ولم أعثر على الحديث في كتب الحديث في حدود بحثي واطلاعي.

وقال له أبو بكر الصّديق ﷺ ذات يوم: "لقد طفت بالعرب، وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك، فمن أدّبك؟" فقال ﷺ: «**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**[1]».

وقال ﷺ: «**أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ، بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ، وَاسْتُرْضَعْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ**[2]».

فقريش هي أفصح العرب لغةً، وأقومها منطقًا، سنح لها مركزها الدّينيّ والاجتماعيّ بأن تأتيها القبائل على اختلاف لهجاتها ومنطقها من كلّ صوب وتجتمع عندها، فتتخيّر هي وتنتقي من لغات الوافدين إليها في المواسم من الكلام ما خفّ نطقه، وحسن وقعه، فهذّبت بذلك لهجتها، وزادت في ثروتها اللّغويّة، ثمّ جاء القرآن بها فزادها شرفًا وحسنًا.

قال الجاحظ يصف كلام رسول الله ﷺ: «وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبّة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حُسن الإفهام، وقلّة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلّة حاجة السّامع إلى معاودته. لم تسقط له كلمة، ولا زلّت به قدم، ولا بارت له حجّة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبزّ الخطب الطّوال بالكلم القصار.

ولا يلتمس إسكات الخصم إلاّ بما يعرفه الخصم، ولا يحتجّ إلاّ بالصّدق، ولا يطلب الفلجَ إلاّ بالحقّ، ولا يستعين بالخلابَة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر. ثمّ لم يسمع الناس بكلام قطّ أعمَّ نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنىً، ولا أبين فحوى، من كلامه ﷺ[3]».

ففيما تجلّت فصاحة النبي ﷺ وبلاغته وحسن بيانه؟ وكيف أثّرت على اللّغة العربيّة وأَثْرَتْها؟ وما هي مباحث اللّغة التي استفادت أكثر من فصاحة الحديث النّبويّ وبلاغته؟

---

[1] النهاية 4/1. والحديث أخرجه الزركشي، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة 16/1 وقال: "معناه صحيح لكنه لم يأت من طريق يصح". والسيوطي في جامع الأحاديث 88/2 رقم 959 و 960.

[2] الفائق في غريب الحديث 11/1. المجموع شرح المهذب، النووي، 227/18. شرف المصطفى، النيسابوري، 49/2. الشفا بتعريف حقوق المصطفى 80/1. وذكره البغوي في شرح السنّة، باب فرض الجمعة، 202/4، قال:"وَفِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ مَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ» وَفُسِّرَ هَذَا: مِنْ أَجْلِ أَنِّي." أي فُسِّر لفظ "ميد" وفي رواية "بيد" بمعنى "منأجل أني". ولم أعثر على الحديث في حدود بحثي في كتب الحديث الأخرى.

[3] البيان والنبيّين، الجاحظ، 14/2.

ثانيا: مجالات تأثير الحديث النّبويّ الشّريف في اللّغة العربيّة:

أ- على مستوى المعاني:

إنّ من الإبداع اللّغويّ الذي جاء به النبي ﷺ؛ إضافته لمعاني ألفاظ معروفة لدى العرب معانيَ جديدة لم يعرفوها من قبل، مرتبطة أساسًا بالرّؤية الجديدة التي جاء بها هذا الدّين لتغيير طريقة فهم النّاس ونظرتهم للأمور، من خلال تزويدهم بمعانٍ جديدة لكلام عرفوه وخبروه لكنّهم لم يسبروا معانيه كما سبرها ﷺ، ومن أمثلة ذلك أنّه سألهم يومًا: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فقال: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَي مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**[1]».

فهذا معنًى جديد للفظة "مفلس" أراد النبي ﷺ أن يغرسه في عقول الصحابة ونفوسهم على أنّه الإفلاس الحقيقيّ، وهو أن يأتي الإنسان يوم القيامة بأعمال صالحات، وعبادات اجتهد في أدائها والقيام بها لتحصيل ثوابها وأجرها؛ فتسحب منه وتوزّع على غيره ممّن ظلمهم وأخطأ في حقّهم بقذف، أو شتم، أو ضرب، أو غير ذلك. وأسوأ من أخذ حسناته منه؛ طرح سيّئاتهم عليه! فهذا هو الإفلاس بعينه وليس إفلاس المال المعروف فإنّ الإنسان قد يكون مفلسًا ثمّ يستغني، أو قد يكون غنيًّا ثمّ يفلس، ولا يضرّه ذلك ما دام مؤمنًا صابرًا محتسبًا راضيًا بما قدّر الله عليه سواء استغنى أو أفلس.

ومن أمثلته أيضًا أنّ رسول الله ﷺ قال يومًا لأصحابه: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ. قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**[2]».

فحدّد بذلك معنى لفظتين وفرّق بين المعنيين، فجعل معنى لفظ الغيبة هو ذكر الإنسان بما يكره، ومعنى لفظ البهتان هو ذكر الإنسان بأمر ليس فيه ويكون مكروهًا غير مستحسن.

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم 2581.

[2] أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة، حديث رقم 2589.

وهكذا فعل ﷺ في ملفوظات عربية أخرى، فوسّع في مدلولاتها وأضاف إلى معانيها المعروفة معاني جديدة، تنبثق من صميم رسالته السماوية التي تحمل نظرة جديدة للكون، والحياة، والإنسان ودوره في هذه الحياة، وعلاقته بالمخلوقات والخالق، كما في الحديث المشهور عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟» قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا» قَالَ: «فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»[1].

فجعل ﷺ معنى لفظة "الرَّقُوبَ": من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويُكتَب له ثوابَ مصيبته به، بينما معناها في كلام العرب: الذي لا يعيش له ولد، فهو المصاب بموت أولاده[2]، والمعنيان مختلفان اختلاف الرؤية الإسلامية والرؤية الجاهلية للأمور والأشياء. وكإطلاقه "الصُّرَعَة" على "الذي يملك نفسه عند الغضب" وكانت العرب تطلقه على الذي لا يصرعه الرجال.

"لقد أكّدت الأحاديث النبوية هذه الحقيقة، وسجّلت لنا الكتب الحديثية الجامعة ألوانا من الألفاظ المنقولة المعنى بسبب الحديث ولم يترك الأئمة والجهابذة تثبيت ذلك والإقرار به"[3].

ب- على مستوى المفردات:

وذلك من خلال إتيانه ﷺ بألفاظ جديدة لم تسمع من غيره من قبل، كقوله ﷺ لأبي تميمة الهجيميّ: «**إِيَّاكَ وَالْمُخيلَة**». فقال: "يا رسول الله؛ نحن قوم عرب فما المخيلة؟" -يعني نحن عرب لم نسمع هذا فيما مضى ولا نعرف معناه- قال: «**سَبْلُ الْإِزَارُ**[4]».

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب البرّ والصلة الآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأيّ شيء يذهب الغضب، حديث رقم 2608.

[2] محمد فؤاد عبد الباقي في شرحه لهذا الحديث في صحيح مسلم.

[3] الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللّغويّة والنحويّة، محمد ضاري حمّادي، ص.127

[4] الكامل في اللغة والأدب، المبرّد، 213/2. نثر الدر في المحاضرات، الآبى، 128/1. الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، 1458/5، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، 238/1. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي، 60/7. والحديث أخرجه معمر بن راشد في جامعه، باب: إسبال الإزار، 82/11 رقم 19982، وأبو داوود في مسنده، مسند جابر بن سليم الهجيمي، 533/2، وأحمد في مسنده، حديث جابر بن سليم الهجيمي، 238/34، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب الزينة، باب الاختلاف على أبي إسحاق فيه، 431/8، والمعجم الكبير للطبراني، 64/7، كلهم بألفاظ متقاربة.

وقوله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْمثلث، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنِ الْمُثلثُ؟ فَقَالَ: الذِي يَسْعَى بِصَاحِبِهِ إِلَى سُلْطَانِهِ فَيُهْلِكُ نَفْسَهُ وَصَاحِبَهُ وَسُلْطَانَهُ[1]».

وسأل رجل الرّسول ﷺ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالَ: كُلُّ قَعْبُرِيّ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا القَعْبُرِيّ: قَالَ: الشَّدِيدُ عَلَى الْأَهْلِ، الشَّدِيدُ عَلَى الْعَشِيرَةِ، الشَّدِيدُ عَلَى الصَّاحِبِ[2]».

وقوله ﷺ:«أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: كُلُّ جظّ جعظ، وَلَمَّا سُئِلَ: "مَا الْجظّ؟"، قَالَ: "الضّخمُ". قَالُوا: "وَمَا الْجعظ؟"، قَالَ: "الْعَظِيمُ فِي نَفْسِهِ"[3]».

وقوله ﷺ: «سِتَّةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مِنْهُمُ الْجَعْثَل، فَقِيلَ لَهُ: مَا الْجَعْثَل؟ قَالَ: الْفَظُّ الْغَلِيظُ[4]».

فمثل هذه الألفاظ التي نطق بها النبيّ ﷺ ولم يسمعها الناس من قبل، ممّا أدّى بهم إلى استفسارهم منه عن معانيها فبيّنها لهم ﷺ، قد أثرت القاموس العربي من حيث الملفوظات والمعاني.لكنّه ﷺ وردت عنه ألفاظا أخرى لم يعثر العلماء على تفسيره ﷺ لها، فلم يستطيعوا الجزم بضبطها أو معانيها، ومن ثمّ فقد اختلفوا في تحديد معنى اللّفظة على حسب اختلافهم في ضبطها، وذكروا معاني عديدة ومختلفة للّفظة الواحدة، ولا شك أن في هذا إثراء للّغة، أسهم فيه الحديث النّبويّ الشّريف. من أمثلة ذلك قوله ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ. أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ[5]».

---

[1] الفاضل، المبرّد، 17/1، والكامل في اللغة، 231/2. نثر الدر 1 /139.لم أعثر عليه في كتب الحديث في حدود اطّلاعي.

[2] النهاية، مادة (قَعْبَرَ)، 86/4.الفائق في غريب الحديث، حرف القاف 312/2.

والحديث أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة 2296/4 رقم 5669. وابن بشران في أماليه280/1 رقم 871.

[3] تهذيب اللغة 225/1 و252/10.النهاية 276/1.

والحديث أخرجه من أصحاب الكتب: مسند أبي داود الطيالسي 281/4 رقم 2674. مسند احمد مخرجا 417/14 رقم 8821 و351/16 رقم 10598. المعجم الأوسط للطبراني 302/4 رقم4263. صفة الجنة لأبي نعيم 99/1 رقم 76.شعب الإيمان للبيهقي 210/12 رقم 9442. وفي بعض ألفاظه "الجعظري".

[4] النهاية، مادة (جعثل) 247/1. غريب الحديث، الخطابي، 450/2.الفائق في غريب الحديث 274/1.

[5] أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب: عتلّ بعد ذلك زنيم، رقم 4918، وكتاب الأدب، باب: الكبر، رقم 6071. ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم 2853

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم:"...وفي رواية كل جواظ زنيم متكبر. أما العتل بضم العين والتاء فهو الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الجافي الفظ الغليظ. وأما الجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة، فهو الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين، وقيل: الفاخر، بالخاء. وأما الزنيم، فهو الدعيّ في النسب الملصق بالقوم وليس منهم، شبّه بزنمة الشاة. وأما المتكبّر والمستكبر، فهو صاحب الكبر، وهو بطر الحق وغمط الناس [1] ".

وجاء في كتاب كشف المشكل من حديث الصحيحين:"الضَّعِيف: الْفَقِير، والمتضعف -بِفَتْح الْعين-ويغلط من يقْرؤهَا من الْمُحدثين بِالْكَسْرِ؛ لِأَن المُرَاد أَن النَّاس يستضعفونه ويقهرونه.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: العتل عِنْد الْعَرَب: الشَّديد. وَقَالَ غَيره: هُوَ الْفظ الغليظ الشَّديد الْخُصُومَة الَّذِي لَا ينقاد لخير. فَأَما الجواظ فَفِيهِ خَمْسَة أَقْوَال: أَحدهَا: أَنه الجموع المنوع. وَالثَّانِي: الشَّديد الصَّوْت فِي الشَّرّ. وَالثَّالِث: الْقصير الْبَطن. وَالرَّابِع: المتكبّر المختال فِي مَشْيه الفاخر. وَالْخَامِس: أَنه الْكثير اللَّحْم المختال فِي مَشْيه [2] ."

ومن الأمثلة أيضا لفظة "النُخَّة" الواردة في قوله ﷺ: «**لَيْسَ فِي النُّخَّةِ صَدَقَةٌ**[3]» نقل في تفسير معناها ابن الأثير أقوالاً عديدة دونما ترجيح فقال: "قيل: هي الرَّقيق. وقيل: الحَمير. وقيل: البَقَر العوامل. وتُفتَح نونها وتُضمّ. وقيل: هي كلّ دابّة استُعملت. وقيل: البَقَر العوامل بالضّمّ، وغيرها بالفتح. وقال الفَرّاء: النُّخَّة أن يأخذ المُصدِّق دينارًا بعد فراغه من الصّدقة [4] ".

---

[1] 188/17.

[2] ابن الجوزي، 294/1 رقم 353.

3 _ جاء في فتح الباري لابن حجر، كتاب الجهاد، باب:(قَوْلُهُ بَابُ مَا ذُكِرَ مِنْ دِرْعِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم وَعَصَاهُ وَسَيْفِهِ وَقَدَحِهِ وَخَاتَمِهِ وَمَا اسْتَعْمَلَ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ مِنْ ذَلِكَ) (6/ 215):"أَخْرَجَ الْخَطَّابِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّة عَن بن عُمَرَ قَالَ بَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى عُثْمَانَ بِصَحِيفَةٍ فِيهَا لَا تَأْخُذُوا الصَّدَقَةَ مِنَ الرَّخَّةِ وَلَا مِنَ النُّخَّةِ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: النُّخَّةُ بِنُونٍ وَمُعْجَمَةٍ أَوْلَادُ الْغَنَمِ وَالرَّخَّةُ بِرَاءٍ وَمُعْجَمَةٍ أَيْضًا أَوْلَادُ الْإِبِلِ." انْتَهَى قال ابن حجر:"وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ لَكِنَّهُ مِمَّا يُحْتَمَلُ." وقال في تلخيص الحبير:" إسناده ضعيف." 350/2

[4] النّهاية، مادّة (نخخ)31/5. غريب الحديث، القاسم بن سلام 7/1. جمهرة اللّغة، ابن دريد،622/1.

نلاحظ كيف اختلف اللّغويّون في تحديد معنى لفظة "النخّة" وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتّى، وما ذاك إلا لاختلافهم في ضبط أوّلها، ولأنهم لم يعثروا على تفسير النبي ﷺ لها فراح كل منهم يحاول أن يثبت لها معنى، فروى ابن الأثير خمسة معان لها على الأقل، وهذا يصبّ في مصلحة البحث العلمي اللّغويّ ويثريه وينشّطه، ويحفّز عملية التفكير والتطوير والارتجال، ويساهم في إثراء اللّغة العربية بمعان جديدة.

وكذلك لفظة "كذباك" والتي وصفها الزّمخشري بأنّها كلمة مشكلة اضطربت فيها الأقاويل، وأطال الكلام حولها مع تتبّع كلام غيره فيها ونقله [1]، وقد وردت في قوله ﷺ: «**الحجامة على الرّيق فيها شفاء وبَرَكة، وتزيد في العقل والحفظ، فمن احْتَجم فيوم الأَحد والخميس كَذَباك أَو يوم الاثنين والثّلاثاء اليوم الذي كشف الله تعالى فيه عن أيّوب البلاء وأصابه يوم الأربعاء، ولا يبدو بأحد شيء من جذام أو برص إلاّ في يوم أربعاء أو ليلة أربعاء**[2]» .

ج- على مستوى التّراكيب:

لم تكن إضافة النبيّ ﷺ للّغة العربيّة على مستوى المفردات فحسب، فقد رُويت عنه تراكيب بديعة في فصاحتها ومعانيها، "نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره، وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره... فجمع له بذلك ﷺ قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري[3]". ومن التراكيب التي نسبت إليه ﷺ: «**حمي الوطيسِ**[4]»، قال ابن الأثير: "ولم يُسمع هذا الكلام من أحد قَبْل النبي ﷺ وهو من فصيح الكلام عبَّر فيه عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق[5]".

---

[1] الفائق: 250/3.

[2] غريب الحديث، ابن قتيبة، 591/1. الفائق في غريب الحديث 250/3. غريب الحديث، ابن الجوزي، 284/2. النهاية 157/4. ولم أعثر على الحديث في كتب الحديث حسب حدود بحثي.

[3] الشفا في معرفة حقوق المصطفى، 79/1-80.

[4] أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين، رقم 1775

[5] النهاية: مادة (وطس).

و«**مات حتف أنفه** [1]»، فقد روى البيهقي عن محمد بن عبد الله بن عتيك، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من مات حتف أنفه -والله إنها لكلمة ما سمعناها من أحد من العرب قبل رسول الله ﷺ - فقد وقع أجره على الله عز وجل". قال البيهقي رحمه الله: "وله ﷺ في هذا النوع ألفاظ لم يسبق إليها ﷺ"[2].

«**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**[3]»

و«**السعيد من وعظ بغيره**[4]»

وقوله في المسلم والكافر: «**لا تراءى ناراهما**[5]»

وقوله ﷺ: «**هدنة على دَخَنٍ**»[6] أي صلح واستقرار على أمورٍ مكروهةٍ[7].

---

[1] البيهقي في شعب الإيمان، 42/3. وفي السنن الكبرى، باب: فضل من مات في سبيل الله 279/9 رقم 18536 وقال: "يَعْنِي بِحَتْفِ أَنْفِهِ عَلَى فِرَاشِهِ". وأخرج الحديث ابن أبي شيبة في مسنده 379/2 رقم 897، وفي مصنفه، في كتاب الجهاد، باب: ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه 204/4 رقم 19330. وأخرجه أحمد في مسنده 340/26 رقم 16414. وابن قانع في معجم الصحابة 115/2. وابو نعيم في معرفة الصحابة 1728/2 رقم 4374.

[2] شعب الإيمان، 42/3.

[3] أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، رقم 6133. ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، رقم 2998.

[4] هذا الحديث روي عن عبد الله بن مسعود مرفوعا وموقوفا. انظر: السنة لابن أبي عاصم (1/ 78) رقم177 و(1/ 79) رقم 178 و179. ومسند البزار (280/4) رقم1447. والمعجم الكبير للطبراني (178/3) رقم 3045 و(9/ 100) رقم8527 و8528 و8529 و8530 و8531.

[5] سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود 45/3 رقم 2645. الترمذي في أبواب السير، باب: ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين 155/4 رقم 1604. النسائي في السنن الكبرى، كتاب القسامة، باب: القود بغير حديدة 347/6 رقم 6956. وفي السنن، كتاب القسامة، باب: القود بغير حديدة 36/8 رقم 4780.كلهم عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً إِلَى خَثْعَمٍ فَاعْتَصَمَ نَاسٌ بِالسُّجُودِ، فَأَسْرَعَ فِيهِمُ القَتْلَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَ لَهُمْ بِنِصْفِ العَقْلِ وَقَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: لاَ تَرَاءَى نَارَاهُمَا. لكن النسائي رواه مرسلا عن قيس عن رسول الله ﷺ وبذكر جريرا.

[6] أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم 3606.وفي كتاب الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم 7084.مسلم في كتاب الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم 1847. في حديث حذيفة المشهور...قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟، قَالَ: نعم وفيه دخن ولم يرد في أي موضع منهما لفظة "هدنة" ووردت في كتب أخرى " هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ " كمسند البزار 266/7 رقم 2799 وسنن النسائي الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب: الأمر بتعلم القرآن والعمل به 256/7 رقم 7979.

[7] العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي،4/ 233.

وقد أفاض الرافعي في شرح هذا التركيب البديع، فقال: "وهذه العبارة لا يَعدلها كلام في معناها، فإن فيها لوناً من التصوير البياني لو أذيبت له اللّغة كلها ما وفّت به". إلى أن قال: "فهذا في تصوير معنى الفساد الذي تنطوي عليه القلوب الواغرة وثم لون آخر في صفة هذا المعنى، وهو اللون المظلم الذين تنصبغ به النية (السوداء) وقد أظهرته في تصوير الكلام لفظة (الدخن). ثم معنى ثالث، وهو النكتة التي من أجلها اختيرت هذه اللفظة بعينها، وكانت سر البيان في العبارة كلها، وبها فضلت كل عبارة تكون في هذا المعنى وذلك أن الصلح لا يكون إلا أن تطفأ الحرب.فهذه حربٌ قد طفئت نارها بما سوف يكون فيها ناراً أخرى.كما يلقى الحطب الرطب على النار تخبو به قليلاً، ثم يستوقِد فيستعر فإذا هي نار تلظى، وما كان فوقه الدخان فإن النار ولا جَرم من تحته، وهذا كله تصوير لدقائق المعنى كما ترى، حتى ليس في الهدنة التي تلك صفتها معنى من المعاني يمكن أن يتصور في العقل إلا وجدت اللون البياني يصوره في تلك اللفظة لفظة (الدَخن)[1]".

وغيرها من العبارات والتّراكيب التي أثرَتْ اللّغة العربيّة حتّى قال الرّافعيّ: "وما من بليغ أحدث في العربيّة منه ما أحدثه النّبيّ ﷺ[2]".

وهذا ما يعبّر عنه في الدّراسات اللّغويّة الحديثة والدّلاليّة منها على وجه الخصوص بحركة التّجديد في اللّغة التي تدفع إليها الحاجة إلى التّعبير عن بعض الأمور التي قد لا تعبّر عنها المفردات الموجودة في اللّغة تعبيرًا دقيقًا فيأتي الابتكار ليقوم بهذه المهمّة[3].

د- استبداله ﷺ استعمالات بعض الألفاظ بألفاظ أخرى:

ثبت عن رسول الله ﷺ أنه استبدل في كلام العرب بعض الألفاظ بألفاظ أخرى من خلال تصحيح بعض ملفوظاتهم المنتشرة بينهم وإعطاء بديل عنها، كما جاء في الحديث: «**لا تقل خبثت نفسي، ولكن لَقِسَتْ**[4]»، ومعنى لقست -كما شرحها الخليل مستشهدًا بهذا الحديث- لقس: اللَّقِسُ: الشّرِه النّفس، الحريص على كلّ شيء، ولَقِسَت نفسه إلى الشّيء: نازعته حرصًا[5].

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، ص 223.

[2] المصدر نفسه، ص214.

[3] معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، السيد الشرقاوي، ص43.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب: لا تقل خبثت نفسي، رقم 6179 و6180. ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: كراهية قول الإنسان خبثت نفسي، رقم 2250.

[5] العين: 5/ 78.

وقوله ﷺ: «**لَا يَسُبُّ أَحَدُكُمُ الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ، فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ**[1]» وفي لفظ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ الْكَرْمُ، فَإِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ**[2]» وفي لفظ آخر «**لَا تَقُولُوا الْكَرْمُ وَلَكِنْ قُولُوا الْعِنَبُ وَالْحَبْلَةُ**[3]»

وأخرج البخاري عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ جَدَّهُ حَزْنًا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا اسْمُكَ» قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: «بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ»** قَالَ: مَا أَنَا بِمُغَيِّرٍ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي قَالَ ابْنُ الْمُسَيِّبِ: «فَمَا زَالَتْ فِينَا الحُزُونَةُ بَعْدُ[4]»

فلا جَرَم كان ﷺ على حد الكفاية في قدرته على الوضع، والشقيق من الألفاظ، وانتزاع المذاهب البيانية، حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها، وهي تعد من حسنات البيان، لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها، وقوة دلالتها، وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها، وكلها قد صار مثلاً، وأصبح ميراثاً خالداً في البيان العربي[5].

هـ- على مستوى الشّعر:

كلام رسول الله ﷺ كان ملهمًا للخليل الفراهيديّ ومساعدا له في تحديد أنواع الشّعر ووضع علم العروض الذي به يعرف المستقيم والمنكسر من أشعار العرب، والصحيح من السقيم، والمعتل من السليم. فقد قال الخليل: الرَّجَزُ المشطور[6] والمنهوك[7] ليسا من الشّعر. بل هما أنصاف مسجّعة. ولمّا اعترض عليه ورُدّ قوله؛ قال: "لأحتجَّنَّ عليهم بحجَّةٍ فإن لم يقرّوا بها عسفوا، فأحتجُّ عليهم بأنَّ رسول الله ﷺ كان لا يجري على لسانه الشِّعرُ؛ وقيل لرسول الله ﷺ:

سَتُبدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: كراهية تسمية العنب كرما، رقم 2247.

[2] المصدرنفسه.

[3] المصدر نفسه رقم 2248

[4] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه، رقم 6193

[5] الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص.214

[6] المشطور: نظام شعريّ وحدته نصف بيت من الرّجز أو السريع التامَّيْن، ويلتزم في جميع وحداته قافية واحدة "هذه القصيدة من مشطور الرَّجَز". (معجم اللغة العربية المعاصرة (1200/2)).

والمَشْطُورُ من الرجز: ما نَقَصَتْ ثلاثة أجْزاءٍ من سِتَّتِه (قاموس المحيط ، باب الراء فصل الشين، مادة "شطر"، (416/1))

[7] المنهوك: المَنْهوكُ من الرَّجَزِ: ما ذَهَبَ ثُلُثاهُ وَبَقِيَ ثُلُثُه. (قاموس المحيط، باب الكاف، فصل الواو، مادة "نهكه"، (956/1)).

فكان يقول ﷺ:

سَتُبدِي لَكَ ٱلأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِدْ بِٱلأَخْبَارِ

فقد علمنا أنّ النِّصف الذي جرى على لسانه لا يكون شعرًا إلا بتمامِ النّصف الثّاني على لفظهِ وعروضه، فالرَّجَزُ المشطورُ مثل ذلك النِّصف.

وقال النبيُّ ﷺ في حفر الخندق:

هَلْ أَنْت إِلاَّ إصبعٌ دَميتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

فهذا على المشطورِ.

وقال النّبيّ ﷺ:

أنا النَّبيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

فهذا من المنهوك، ولو كان شعرًا ما جرى على لسانه، فإنَّ اللّه - عزَّ وجلّ- يقول: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ [1]﴾[2]».

و- على مستوى حفظ اللّهجات العربيّة المختلفة:

ذكر ابن الأثير أنّ الرّسول ﷺ كان "يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم، وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم، كلاً منهم بما يفهمون، ويحادثهم بما يعلمون[3]". وهذا طبعًا من دلائل نبوّته ﷺ، فقد قال لعليٍّ ﷺ عندما قال له: «يا رسول الله، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلّم وفود العرب بما لا نفهم أكثره!» فكان جوابه: «**أدّبني ربّي فأحسن تأديبي**[4]».

وأكّد الرّافعي إعجاز معرفة النبيّ ﷺ باللّهجات العربية فقال: "ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلا توفيقاً من الله وتوقيفاً" إلى أن يقول عن معرفته ﷺ باللهجات العربية:"فكان ﷺ يعلم كل ذلك على حقه؛ كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها[5]".

---

[1] يس: 69.

[2] العين: 6/ 64-66

[3] النهاية 4/1

[4] المصدرنفسه.

[5] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 195.

ويأسف الرّافعيّ لعدم تأريخ علماء اللّغة العربية للّهجات العربية فيقول: "فإن علماءنا وروّاتنا رحمهم الله [يقصد علماء اللّغة] لم يوقعوا الكلام في أماليهم وكتبهم على حالة اللّغة لعهد النبي ﷺ تعييناً، ولا دلّوا على ما كان له من الأثر في أوضاعها وتقليبها، وعلى ما جاء من قِبَله في ذلك مما كان من قبل سواه؛ وعلى ما صارت إليه اللّغة بعد استفاضة الإسلام والاجتماع على المضرية، إلى ما يداخل ذلك من أبواب التاريخ اللّغوي[1]".

لكن المحدّثين عند قيامهم بتدوين السنّة النبوية الشريفة؛ قاموا بجمع أحاديث الرسول ﷺ وكتبه التي أرسلها إلى الوفود مستخدما فيها لهجاتهم المختلفة، فكان للحديث النّبويّ الشّريف ولعلمائه الفضل في حفظ هذه اللّهجات العربيّة، التي غفل عن نقلها اللّغويّون.

ومن أمثلة كلامه ﷺ بهذه اللّهجات:

كتابه ﷺ إلى همدان، وجاء فيه: «... إنّ لكم فَرَاعها ووِهَاطها وعَزَازها، تأكلون عِلافها، وترعون عفاءها، لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصّدقة الثّلب والنّاب والفصيل والفارض الدّاجن والكبش الحَواريّ، وعليهم فيها الصّالغ والقارح[2]».

وقوله لوفد بني نَهْد: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُحْضِهَا ومَحْضِهَا. وَمَذْقِهَا وَفِرْقِهَا، وابْعَثْ رَاعِيهَا فِي الدَّثْر وَيَانِعِ الثَّمَرِ، وَافْجُرْ لَهُم الثَّمَدَ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي الوَلَدِ، مَنْ أَقَامَ الصَّلاةَ كَانَ مُؤمِنً، وَمَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ لَمْ يَكُن غَافِلاً، وَمَنْ شَهِدَ أنْ لا إلَهَ إلا الله كَانَ مُسْلِمًا. لكُم-يَا بَنى نَهْد-ودائعَ الشِّركِ، ووضائعُ المُلْكِ مَا لَمْ يَكُنْ عَهْدٌ ولا موعد وَلا تَثَاقُلٌ عَنْ الصَّلاةِ، ولا يُلْطَطْ فِي الزَّكَاةِ... [3]».

وقوله ﷺ: في حديث العامريّ: «**سَلْ عَنْكَ**[4]»؛ ومراده: "أي: سل عما شئت، وهي لغة بني عامر[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص218.

[2] غريب الحديث لابن قتيبة،549/1. الفائق، 434/3.النهاية، 47/2.

[3] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 72/1.الفائق في غريب الحديث، 272/2. والحديث في كنز العمال، 837/7 رقم21607. وجامع المسانيد والسنن،458/4.

[4] إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري،18/7. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر،185/17. كنز العمال، 463/12. جامع الأحاديث للسيوطي، 204/25.

[5] المصادر نفسها.

وقوله ﷺ: «**الجَنَّةُ مَحْظُورٌ عَلَيْهَا بِالدَّلِيلِ، وَأَنَّ النَّارَ مَحْظُورٌ عَلَيْهَا بِالشَّهَوَاتِ**[1]»، وورد الحديث نفسه برواية مختلفة هي: «**حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ؛ وَحُفَّتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ**[2]».

وقد فسرّ ابن قتيبة الدّاليل بالمكاره والشّدائد[3].

وقوله ﷺ: «**ليس مِنْ امْبِرِّ امْصِيَامُ فِي امْسَفَرِ**[4]». وبيّن ابن حجر أنّ هذه لغة لبعض أهل اليمن، يجعلون لام التّعريف ميمًا [5].

وقوله ﷺ: «**إِنَّ اليَدَ المُنْطِيَّةَ هِيَ العُلْيَا، وَإِنَّ السَّائِلَةَ هِيَ السُّفْلَى فَمَا اسْتَغْنَيْتَ فَلَا تَسْأَلْ، وَإِنَّ مَالَ اللَّهِ مَسْؤُولٌ وَمَنْطِيٌّ**[6]».

وجاء قوله ﷺ: «**لَا بَأْسَ بِقَتْلِ الحِدَوْ الأَفْعَوْ**[7]» على لهجة بعض القبائل العربيّة التي التي تقلب الألف واوًا عند الوقف على ما آخره ألف.

والحِدَوُ هي الحدَأ: جمع حِدَأة (الطّائر المعروف)، والمراد بالأفعو الأفعى، وهي لغة أهل الحجاز الذين يقلبون الألف واوًا عند الوقف، ومنهم من يَقْلب الألف ياء في الوقف. وبعضهم يشدّد الواو والياء [8].

---

[1] الفائق، 406/1.غريب الحديث لابن الجوزي،1/ 319. النهاية،95/2. ولم أعثر على الحديث في كتب الحديث في حدود بحثي واطلاعي.

[2] مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،2174/4 رقم 2822

[3] كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، ابن قتيبة، ص129-136.

[4] أخرجه أحمد في المسند 84/39 رقم 23679. والطبراني في المعجم الكبير، 172/19. والحميدي في المسند، 113/2 رقم 887. بهذا اللفظ. وروي بلفظ "ليس من البرّ الصوم في السفر." وقد أخرجه جماعة منهم: الدارمي في سننه في كتاب الصوم، باب: الصوم في السفر، 1066/2 رقم1751. وابن ماجة في سننه، كاب الصوم، باب: ما جاء في الإفطار في السفر، 532/1 رقم 1664. والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الصيام، باب: ما يكون من الصيام في السفر، 144/3 رقم 2575.والحاكم في المستدرك، كتاب الصوم، حديث شعبة 598/1 رقم 1580

[5] ابن حجر، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، 2/ 293.

[6] الحاكم في المستدرك، كتاب الرقاق، 363/4 رقم 7930.والبيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب صدقة التطوع، باب: بيان اليد العليا واليد السفلى، 332/4 رقم 7884.والطبراني في مسند الشاميين، 347/1 رقم 603 كلهم عن عطية السعدي؛ قال:"يكلمني رسل الله صلّى الله عليه وسلّم بلغتنا."

[7] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب: ما يقتل المحرم، 350/2 رقم 14824. وذكره صاحب عمدة القاري شرح صحيح البخاري، عند شرح كتاب بدء الخلق، باب: قول الله تعالى: "وبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَةٍ" البقرة، وقال: "وَأهل الْحجاز يَقُولُونَ: أفعو، وَجَاء فِي حَدِيث ابْن عَبَّاس: لَا بَأْس بقتل الأفعو، أَرَادَ: الأفعى، وقلب ألفها واواً فِي الْوَقْف، وَمِنْهُم من يقلب الْألف يَاء فِي الْوَقْف، وَبَعْضهمْ يشدد الْوَاو وَالْيَاء وهمزته زَائِدَة، 187/15-188.

[8] ينظر غريب الحديث لابن قتيبة، 357/2.والفائق في غريب الحديث، 138/1.غريب الحديث لابن الجوزي، 200/2. النهاية، 55/1. وغيرها.

وهكذا نجد أن كتب الحديث؛ لا سيّما كتب غريب الحديث، قد لعبت دورا هاما في الحفاظ على هذه اللّهجات العربية والتعريف بها، وكان الدافع الأساسي للقيام بهذا التوثيق والجمع والنقل لهذه اللّهجات هو كون النبيّ ﷺ تحدّث بها وخاطب بها أقوامها، وفي هذا مثال على الخدمة الكبيرة التي قدّمها الحديث النبوي الشريف للّغة العربية.

ثالثا: أثر الحديث النّبويّ على اللّغة العربيّة على المستوى المعجميّ:

أسهم الحديث النّبويّ الشّريف بشكل مباشر وكبير في بناء المعجم اللّغويّ وإثرائه بألفاظ ومعان وتراكيب ولهجات. وإنّ النّاظر في المعاجم اللّغويّة - بدءًا بأوّل معجم وهو "العين" للخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت175ه)، ووصولا إلى أضخمها وهو "لسان العرب" لأبي الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور (ت711ه)، مرورًا بالمعاجم اللّغويّة المشهورة الأخرى مثل: "جمهرة اللّغة" لابن دريد (ت321ه)، "التّهذيب" للأزهريّ (ت370ه)، "الصّحاح" للجوهريّ (ت393ه)، "المحكم" لابن سيده(ت458ه)، وغيرها - يلاحظ الكمّ الهائل من الأحاديث النّبويّة الشّريفة التي ملأت هذه المعاجم وزيّنتها، وقدّمت لمؤلّفيها مادة غنيّة ساعدتهم في الاستشهاد بها على تفسير معاني كثير من الألفاظ العربيّة، وأحيانًا إضافة معنًى جديدٍ لم يكن معروفًا عند العرب وإنّما جاء به حديث رسول الله ﷺ، أو إضافة اللّفظ ذاته؛ لأنّه لم يكن لفظًا مستخدمًا عند العرب واستخدمه النبي ﷺلأوّل مرّة.

وقد أدّت كتب غريب الحديث التي تخصّصت في جمع ما غرُب من كلام النبي ﷺ وتفسيره دورًا كبيرًا في تأليف المعاجم اللّغويّة؛ وكانت إحدى روافدها الأساسيّة إلى جانب القرآن الكريم والشّعر. فلقد تتالت المؤلّفات في غريب الحديث، ولا يكاد يخلو قرن من التّأليف فيه بدءًا من نهاية القرن الثّاني الهجريّ، مع اختلاف في أوّل من ألف فيه؛ فقد ذكر ابن النّديم أنّ أبا عدنان عبد الرّحمن الأعلى (ت210ه) هو أوّل من ألّف في هذا العلم، بينما ذكر ابن الأثير أنّ أوّل من فعل ذلك هو النّضر بن شميل (ت203ه)، وقيل بل هو أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت210ه).

وورد ذكر مؤلّفات أخرى في غريب الحديث لعلماء متعاصرين من القرن الثّالث منهم أبو عمرو الشّيبانيّ (ت206ه) ومحمّد بن المستنير المعروف بـ"قطرب" (ت.206ه) والأصمعيّ (ت.213ه) وأبو زيد الأنصاريّ (ت215ه) وأبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت. 224ه) وابن الأعرابيّ (ت231ه) وعمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ (ت231ه) وابن قتيبة (ت.276ه). لكن معظمها لم يصلنا ووصلنا كتاب أبي عبيد القاسم بن سلاّم وكتاب ابن قتيبة. ومن القرن

الرّابع كتاب الخطابيّ البستيّ (ت.388هـ). ومن القرن الخامس كتاب "الغريبين" لأبي عبيد أحمد بن محمّد الهروي (ت401.هـ) ثمّ من القرن السادس كتاب "الفائق في غريب الحديث" للزّمخشريّ (ت538هـ) ومن القرن السابع كتاب "النّهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (ت.606هـ) وهذان الأخيران هما زبدة ما ألّف في هذا العلم والغاية فيه.

وقد كان لهذه الكتب الدّور الكبير في بناء المعاجم اللّغويّة على مرّ العصور.

ومن أمثلة استشهاد أصحاب المعاجم بالحديث النّبويّ، نذكر استشهاد الخليل بثلاثة أحاديث في شرح لفظة واحدة فقال[1]:

«نخع: النُّخَاعُ والنِّخَاعُ والنَّخَاعُ، ثلاث لغات: عِرق أبيضُ مُستْبَطْنِ فِقار العُنُق مُتصل بالدِّماغ. ونَخَعْتُ الشاةَ: قَطَعْتُ نُخَاعَها.

ومنه يقال: تَنَخَّعَ الرجلُ: إذا رمى بُنخاعَتِه، وهي نُخامتهُ. وفي الحديث: «**النُّخَاعَةُ في المسجد خطيئةٌ**[2]». قال: هي البَزْقَةُ التي تخرج من أصل الفم ممَّا يلي النُّخَاع.

والمَنْخَعُ: مفْصلَ الفَهْقَةِ بين العنق والرأس من باطنٍ.

وفي الحديث: «**لا تَنْخَعُوا الذَّبيحةَ، ولا تَفْرُسوا، ودعُوا الذَّبيحةَ حتى تجب فإذا وجَبَتْ فكُلُوا**[3]». الفَرْس: كَسْر العُنُق. والنَّخْعُ: أن يَبْلُغَ القَطْعُ إلى النُّخَاعِ.

وفي الحديث: «**أنخَعُ الأسماء إلى الله- أي أقْبَحُه-من تسمَّى بمَلك المُلُوكَ**[4]».

---

[1] معجم العين، 121/1-122.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: كفارة البزاق في المسجد، رقم 415. ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضئ الصلاة، باب: النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، رقم 552.

[3] الطبراني في المعجم الكبير 248/12 عن ابن عباس مرفوعا. والبيهقي في السنن الكبرى عن عمرموقوفا، 469/9، وعن شهر بن بن حوشب عن ابن عباس مرفوعا 470/9 وقال إسناده ضعيف. وذكره المقدسي في المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، 16/11 ؛ وفي إسناده أَبُو الْخَلِيفَةِ الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ، ثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، ثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَهْرَامَ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: قَالَ ابْن عَبَّاس: « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم عَنِ الذَّبِيحَةِ أَنْ تُفْرَسَ قَبْلَ أَنْ تَمُوت» ضمن حديث طويل. قال المقدسي: "رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ إِلَى قَوْلِهِ: أَصْنَافِ النِّسَاءِ، -أي ليس فيه عن الذبيحة- بِنَحْوِهِ، عَنْ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ رَوْحٍ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ بَهْرَامَ، وَقَالَ: حَدِيثٌ، حَسَنٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْحَمِيدِ."

[4] أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب: أبغض الأسماء إلى الله، رقم 6205 و 6206، الحديث بلفظ : «أَخْنَى الأَسْمَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ» و«أَخْنَعُ الأَسْمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاَكِ». ومسلم في صحيحه في كتاب الآداب، باب: تحريم التسمّي بملك الأملاك وملك الملوك، رقم 2143 بلفظ «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ». قَالَ سُفْيَانُ: «مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ»، وقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، سَأَلْتُ أَبَا عَمْرٍو عَنْ أَخْنَعَ؟ فَقَالَ: «أَوْضَعَ».

وقد فاق عدد الأحاديث التي استشهد بها الخليل في معجمه الثّلاث مائة حديث؛ رغم كونه أوّل معجم أُلِّف، وكان ذلك قبل ظهور كتب غريب الحديث، أي أنّ عدد الأحاديث في المعاجم المتأخّرة أكثر بكثير.

رابعا: مواقف استخدام الحديث النّبويّ في اللّغة العربيّة على المستوى الوظيفيّ:

بخلاف إجماع اللّغويّين في مسألة الاحتجاج بالحديث النّبويّ الشّريف على المستوى المعجميّ، فقد اختلافوا في مسألة الاحتجاج به في مجال قواعد النّحو والصّرف، بين مؤيّد لفكرة الرّجوع إلى الحديث النّبويّ الشّريف _بعد القرآن الكريم _للاحتجاج به في الصّيغ الصّرفيّة والقضايا النّحويّة؛ وبين رافضٍ لذلك ومقدّمٍ للشّعر وكلام العرب _بعد القرآن الكريم_ على الحديث النّبويّ، واعتذارهم في ذلك أنّه بخلاف القرآن الكريم الذي لا تجوز روايته بالمعنى فإنّ الحديث النّبويّ الشّريف يجوز للرّاوي أن يرويه بالمعنى وأن يتحرّر فيه من ألفاظ الرّسول ﷺ ويصوغه بألفاظه الخاصّة، وبناء عليه فإنّ ما بين أيدينا من الحديث قد يكون ليس بلفظ رسول الله ﷺ وإنّما هو بتصرّف الرّاوي، فلا يصلح حينئذ أن يكون حجّة في صحّة النّطق وروايته في اللّغة.

ولا شكّ أنّ حجّتهم في ذلك ليست قويّة؛ لأنّ المعروف عن منهج رواة الحديث الدّقّة والأمانة والحرص والاحتراز، ولا يعدل الرّاوي منهم عن لفظ رسول الله ﷺ إلى لفظه إلاّ نادرًا، مع بيان ذلك إن شكّ في لفظه، وكتب الرّواية تشهد على ذلك.

ثمّ إنّنا وإن سلّمنا بوقوع ذلك؛ وأنّ الرّاوي قد يتصرّف في ألفاظ الحديث ويرويه بالمعنى، فإنّ رواية الحديث تمّت ضمن عصور الاحتجاج؛ حيث ما تزال اللّغة نقيّة والسّليقة سليمة.

ثمّ إنّ أكثر المحدّثين وأكثر اللّغويّين من العصور الأولى للرّواية قد اشتغلوا بالعلمين وبرزوا فيهما معًا؛ ويكفي أنّ سيبويه قد تتلمذ على يدي المحدّث حمّاد بن سلمة الذي عرف عنه قوله: «مَثَلُ الَّذِي يَطلُبُ الحدِيثَ ولا يَعرِفُ النَّحوَ مَثَلُ الحِمارِ علَيهِ مِخلاةٌ لا شَعيرَ فيها[1]».

[1] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، 26/2.

ووقف أبو إسحاق الشّاطبيّ موقفًا وسطًا بين المجيزين والمانعين، فقسّم الأحاديثَ النبوية إلى قسمين:

- **القسم الأوّل:** ما يعتني ناقله بمعناه دون لفظه، وهذا لم يقع به استشهاد أهل اللّسان.
- **القسم الثّاني:** ما عرف اعتناء ناقله بلفظه، لمقصود خاصّ، كالأحاديث التي قصد بها فصاحته ككتبه، والأمثال النّبويّة، وهذا القسم يصحّ الاستشهاد به في النّحو[1].

وكان هذا التّقسيم الذي قدّمه الشّاطبيّ الأساس الذي بنى عليه أرباب اللّغة المعاصرون موقفهم من حجّيّة الحديث، وقالوا: من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف بالاحتجاج به في اللّغة و(القواعد)، وهو ستّة أنواع:

- أوّلها: ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته _عليه الصّلاة والسّلام_.
- **ثانيها:** ما يروى من الأقوال المتعبّد بها كالأذكار والأدعية.
- **ثالثها:** ما يروى على أنّه كان يخاطب كلَّ قومٍ من العرب بلغتهم. وممّا هو ظاهر أنَّ الرّواة يقصدون في هذه الأنواع الثّلاثة إلى رواية الحديث بلفظه.
- **رابعها:** الأحاديث التي تعدّدت طرقها وتوحّدت ألفاظها ممّا يعني عدم تصرّف الرّواة فيها.
- **خامسها:** الأحاديث التي دوّنها من نشأ في بيئة عربيّة لم ينتشر فيها فساد اللّغة.
- **سادسها:** ما عرف من حال رواته أنَّهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى.

ولعلّ موقف بعض اللّغويّين هذا في الاحتجاج بالحديث النبوي في القواعد اللّغويّة والمبنيّ على تقسيم الشاطبي للأحاديث يمثّل موقفا معتدلا وسطا بين المجيزين والمانعين مطلقا، ويقرّب بين الفريقين.

---

[1] نقلا عن كتاب الحديث النبوي في النحو العربي، لمحمود فجال، ص127-130 نقلا عن الشاطبي في شرحه للألفية المسمى " المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية". ولقد رجعت إلى كتاب الشاطبي "المقاصد الشافية" وحاولت إيجاد العبارة فيه لكني لم أفلح، ولعلها تكون مبثوثة ضمن الكلام ولم ألحظها فالكتاب كبير في تسع مجلدات.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث نستطيع القول بأن الحديث النبوي الشريف قد أثرى اللّغة العربية بألفاظ ومعاني وتراكيب جديدة لم تُعرف قبل استعمال النبي ﷺ لها، كما ارتقى بها إلى مستوى أفضل وأجمل من خلال تهذيب استعمالات بعض ألفاظها، وبذلك يكون قد فتح مجال الابتكار والتجديد في الاستعمال اللّغوي مما يحفظ للّغة تجدّدها، وتطوّرها، وحركيتها، وحيويتها، فيبقيها لغة حيّة ولاّدة متجدّدة.

كما حفظ لنا الحديث النبويّ الشريف لهجات القبائل العربية التي لم تدوّن في عهد تدوين اللّغة العربية ودوّنتها لنا كتب غريب الحديث والسنّة كأحاديث وكتب النبيّ ﷺ. بل إن الحديث النبوي الشريف كان ملهما للخليل الفراهيدي في وضع أنواع الشعر وتقسيماته واستند إلى ما ورد عن النبي ﷺ من أبيات ليحدّد على أساسها نوعين ليسا من الشعر وإن بديا كذلك؛ هما المشطور والمنهوك، وذلك بالرجوع إلى الآية القرآنية التي يقول فيها المولى عزّ وجلّ: چ ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ چ[1].

ولا شكّ أن الحديث النبوي الشريف أسهم إسهاما كبيرا في بناء المعجم العربي وتزويده بمفردات ومعان وتراكيب غزيرة، ومثّلت كتب غريب الحديث التي ظهرت منذ بداية القرن الثالث الهجري رافدا مهما للمعاجم اللّغويّة العربيّة عبر التاريخ، بل حتى قبل ظهور كتب الغريب؛ كان المعجم العربي يستمدّ مادته من الأحاديث النبويّة الشريفة، ومعجم العين للخليل الفراهيدي -وهو أول معجم عربي-شاهد على ذلك.

تباينت استفادة علماء اللّغة العربية من الحديث النبوي الشريف واختلفت آراؤهم ومواقفهم في مجالات الاستفادة منه، فأما أصحاب المعاجم والبلاغيون فقد نهلوا منه ما شاؤوا وتوسّعوا حتى استشهدوا بأحاديث ضعيفة[2]، وأما النّحويّون فقد انقسموا على

---

[1] يس: 69.

[2] كاستشهادهم بعبارة "لا ينتطح فيه عنزان"، ذكره ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (7/ 328) من رواية مُحَمد بن الحجاج اللخمي أَبُو إبراهيم الواسطي عن مجالد عن الشَّعْبِيّ، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هجت امرأة من بين خطمة النَّبِيُّ ﷺ بهجاء لها فبلغ ذَلِكَ النبي ﷺ واشتد عليه ذَلِكَ فقال: من لي بها؟ فقال رجل من قومها: أنا يا رسول اللهِ، وكانت تمارة تبيع التمر، قَالَ فأتاها فقال لها: عندك تمر؟ فقالت: نعم، فأرته تمرة، فقال: أردت أجود من هذا، قَالَ: فدخلت لتريه، قَالَ: فدخل خلفها، فنظر يمينا وشمالا فلم ير إلاَّ خوانا، قَالَ: فعلا به رأسها حتى دفعها به، ثم أتى النَّبِيّ ﷺ، فقال: يا رسول اللهِ قد كفيتكها، قَالَ: فَقال النَّبِيُّ ﷺ: " أما إنه لا ينتطح فيه عنزان". قَالَ فأرسلها مثلا.
قَالَ الشيخ: لم يروه عن مجالد غير مُحَمد بن الحجاج وجميعا مما يتهم مُحَمد بن الحجاج بوضعها.
وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (5/ 2577) رقم 5990: وَهَذَا لم بروه عَن مجَالد غير مُحَمَّد هَذَا. وَهَذَا مِمَّا يتهم بِهِ مُحَمَّد أَنه وَضعه.وعبارة "خضراء الدمن"، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ضعيف جدا.1/69 رقم 14.

أنفسهم قسمين؛ قسمّ رأى في الحديث النبويّ شواهد لغويّة يمكن توظيفها واستخدامها في التقعيد للّغة العربية مثلها مثل القرآن الكريم، وقسم ميّز الحديث عن القرآن، وقال إن القرآن كلام الله منقول بنصّه وحرفه، بينما حديث رسول الله ﷺ قد يكون منقولا بالمعنى؛ وبالتالي فإن اللّفظ فيه ليس للنبيّ ﷺ ولا تقوم به الحجة اللّغويّة.

ومنهم فئة ثالثة وقفت موقفا وسطا، ووضعت ضوابط ضبطت بها الأمر، وميّزت بين الأحاديث الصحيحة والأحاديث التي رويت بلفظ مقصود فيها كالأذكار والأدعية والرسائل والكتب وما شابه فأخذت بها، وتركت ما شكت فيه من أنه قد يكون مرويّ بالمعنى. فتمكّنت من الاستفادة من الحديث النبوي الشريف مع التثبّت والاحتياط للّسان العربي.

في الأخير أحمد الله على أن أتممت هذا البحث واستغفره وأتوب إليه مما فيه من خطإ وتقصير وما توفيقي إلا بالله ربّ العالمين.

وصلّي اللهم وسلّم على سيّدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

المصادروالمراجع:

01- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المطر والرعد والبرق، تحقيق وتخريج: طارق محمد سكلوع العمودي، الدمام، دار ابن الجوزي، 1418هـ-1997م

02- ابن أبي عاصم أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، كتاب السنة، المكتب الإسلامي، 1400هـ- 1980م.

03- ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ-1979م

04- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، غريب الحديث، تحقيق: د. عبد المعطي أمين القلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405 – 1985،

05- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض، دار الوطن، (د.ت.)

06- ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي الشيباني، ذخيرة الحفاظ، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي، الرياض، دار السلف، 1416هـ-1996م،.

07- ابن بشران البغدادي، أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله، أمالي ابن بشران، ضبط نصه: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، الرياض، دار الوطن، 1418هـ - 1997م.

08- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، دار الكتب العلمية، 1419هـ 1989م.

09- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ، تحقيق: (17) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري.

10- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علّق عليه: عبد العزيز بن باز، بيروت، دار المعرفة، 1379،

11- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللّغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م.

12- ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، عبد الفتاح أبو سنة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ1997م.

13- ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي البغدادي، معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية -المدينة المنورة، 1418هـ.

14- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أبو محمد الدينوري، غريب احديث، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني، 1397.

15- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أبو محمد الدينوري، كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، دمشق، دار ابن كثير للطباعة والنشر، (د.ت.).

16- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية -فيصل عيسى البابي الحلبي، (د.ت.)

17- أبو بكر ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، 1409هـ

18- أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود البصري، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، مصر، دار هجر، 1419 هـ-1999 م.

19- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السّجِسْتاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا – بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت.)

20- أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدّم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ-1999م.

21- أبو نعيم الأصبهاني، صفة الجنة، تحقيق: علي رضا عبد الله، دمشق، دار المأمون للتراث، (د.ت.).

22- أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الرياض، دار الوطن للنشر، 1419هـ - 1998م.

23- الآبي، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، بيروت، دار الكتب العلمية - 1424هـ-2004م،

24- أبي بكر ابن أبي شيبة، مسند أبي بكر ابن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، الرياض، دار الوطن، 1997م..

25- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م.

26- الأزهري محمد بن أحمد، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م.

27- إسماعيل بن جعفر، بن أبي كثير الأنصاري الزرقي مولاهم، أبو إسحاق المدني، حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جعفر المدني، دراسة وتحقيق: عمر بن رفود بن رفيد السّفياني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 1418هـ-1998 م..

28- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، أبو الفداء، جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن، تحقيق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت.)

29- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الرياض، دار المعارف، 1412هـ- 1992 م.

30- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري= المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ،

31- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، مسند البزار (المنشور باسم البحر الزخار)، تحقيق مجموعة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)

32- البوصيري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، الرياض، دار الوطن للنشر، 1420هـ-1999م،

33- البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط.3، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ-2003م،

34- البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، بومباي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية، 1423هـ/ 2003م.

35- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط.2،مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ- 1975م

36- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان، البيان والنبيّين، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1423هـ

37- جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جامع الأحاديث، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د. علي جمعة، دون بيانات النشر.

38- الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الهند، الدار السلفية، 1403هـ-1982م،

39- الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى، المكي، مسند الحميدي، حققه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دمشق، دار السقا، 1996م،

40- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، البستي، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، ط. 1402هـ-1982م،

41- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف، (د.ت.)

42- الخليل، أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت.)

43- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، التميمي السمرقندي، مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، المملكة العربية السعودية، دار المغني للنشر والتوزيع، 1412هـ -2000م.

44- الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط.8، بيروت، دار الكتاب العربي، 1425هـ - 2005م.

45- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ (التذكرة في الأحاديث المشتهرة)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1406 هـ-1986م،

46- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط.2، لبنان، دار المعرفة، (د.ت.)

47- السيد الشرقاوي، معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، القاهرة، مكتبة الخانجي، 2001.

48- شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، أبو العباس، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، 1417هـ - 1996م.

49- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني القاهرة، دار الحرمين،(د.ت.)

50- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط.2، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، (د.ت.)

51- علاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، ط.5، مؤسسة الرسالة، 1401هـ-1981م،

52- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت.)

53- القاسم بن سلاّم، أبو عُبيد الهروي البغدادي، غريب الحديث، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد-الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1384هـ-1964م.

54- القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1409هـ-1988م.

55- المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس، الفاضل، ط.3، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1421هـ.

56- المبرد، محمد بن يزيد، أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.3، القاهرة، دار الفكر العربي، 1417هـ-1997م.

57- محمد ضاري، حمّادي، الحديث النبوي الشريف وأثره في الدّراسات اللّغوية والنحويّة، بيروت، مؤسسة المطبوعات العربية، 1402هـ-1982م.

58- محمود، فجّال، الحديث النبوي في النحو العربي، ط.2، أضواء السلف، 1417هـ-1997م.

59- مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د.ت.)

60- معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط.2، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، 1403هـ

61- مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي أبو عبد الله، علاء الدين، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1422هـ - 2001 م،

62- المقدسي، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد، المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط.3، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ-2000م.

63- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م.

64- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، المجتبى من السنن أو السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط.2، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، 1406 – 1986،

65- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، (د.ت.)

66- النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411 – 1990.

67- النيسابوري، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم، أبو سعد، شرف المصطفى، مكة، دار البشائر الإسلامية، 1424هـ